

مقدمة

حمداً لله وشكراً ، لا علم لنا إلا ما علمتنا .. من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ونُصلى ونسلم على أفضل خلقه ، وخاتم رسله محمد ﷺ ..

وبعد .. وحده كان عمر بن الخطاب نسيجاً فريداً صنعه الإسلام على يديه ؛ فلم تُثر شخصية حاكم مسلم حولها هالة من الاعجاب والاحترام مثل شخصية عمر بن الخطاب ، فلا تذكر الفتوحات الإسلامية العظيمة إلا ويذكر اسم عمر مقترباً بها ، ولا تذكر الانتصارات الرائعة في بدء الاسلام إلا ويذكر اسم عمر معها ، ولا يذكر الحكام العادلون — وهم قليلون — إلا وعلى رأسهم عمر بن الخطاب .

إن هناك جوانب كثيرة وعظيمة في عمر .. وقف أمامها المؤرخون والباحثون ، وتناولوها بالبحث والدراسة : عمر المسلم — عمر الحاكم — عمر الزاهد — عمر الملهم — عمر العابد ..

ولكن هناك جانباً لم ينل حظه الكافي من العناية والبحث ألا وهو شخصية عمر الفقيه .. عمر المجتهد .. عمر المفتي .. ونحن هنا نريد أن نسلط الضوء على جانب هام من حياة عمر من خلال فتاويه وأقضيته . ألا وإن من وسائل التفقه في الدين الرجوع إلى الأقضية والفتاوى التي تولاها كبار الصحابة والتابعين ، ولا شك أن نشر هذه الأقضية وتلك الفتاوى بين المسلمين عمل جليل النفع ، عظيم الفائدة ، طيب الأثر ، ففيها دراسة لمشكلات قائمة ، وهي صورة حية لما يقع بين أيديهم من الحل والحرمة ، تسعف من لم تسعفه ظروفه ، وتساعد من لم تساعده أحواله لينقطع للعلم ، ويتفرغ للدرس حيث تتناول معظم المسائل التي تعرض للمسلم في حياته ، عباداته ومعاملاته فيما يشبه أن يكون « دائرة معارف فقية » .

ولعل أهم ميزة في شخصية عمر بن الخطاب هي : أدب القضاء ، ولقد شاء الله أن يلقب بالفاروق لمعنى من معاني العدل في القضاء ؛ فإن الأمور لم

تستقيم له مصادفة واتفاقاً ، وإنما أقام حكمه (ولايته) على العدل .
ولم يكن عجباً أن تكون له أوليات يتناقلها الخلف عن السلف في مجال
القضاء والإفتاء :

فهو أول من استقضى القضاة ، ووضع أساس القضاء النظامي ، وكتابه
المشهور الى أبي موسى الأشعري فيما ينبغي أن يكون عليه القاضي والقضاة
يدل على سمو إدراكه لمعنى العدالة وطرائق تطبيقها .

وهو أول من سن قيام رمضان في جماعة .. وأول من عاقب على
الهجاء .. وأول من ضرب في الخمر ثمانين .. وأول من أعال الفرائض ..
وأول من أخذ زكاة الخيل .. وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد .. وأول
من جمع الناس في صلاة الجنازة ..

ولقد كان يستشير فضلاء المسلمين بالمساجد في المسائل العامة ثم يعرض
رأيه وآراءهم على مجلس شوره المؤلف من أعيان الصحابة ، فما استقر عليه
رأيهم أمضاه .

ولهذا كانت المدينة في أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة
والمشرعون ، واجتهدون فيوزعهم على الأمصار يقضون فيها بالشرع والسنة
والقياس متخذين عدل عمر ، ووجه للمساواة ، وخضوعه لأحكام الحق
نبراساً يهتدون بنوره ، وقدوة يقتدون بها عند الفصل في أمور المسلمين .

ونتلقى نحن — المسلمين — هذا الحصاد الفقهي الجليل ، فإذا بنا أمام
مدرسة عليا في القضاء والفتيا نتعلم فيها ومنها دروس العدل والمساواة
ومنطق الحكمة وفصل الخطاب ، ويصبح من حق كل مسلم وبخاصة أولئك
الذين يتصدون للفتيا ، ويجلسون للفصل بين المتخاصمين أن يلموا بها
ويتعرفوا أهدافها وحكمتها ، ليزدادوا فقهاً وعلماً .

إن فتاوى عمر وأفضيته كنز من كنوز الفقه الإسلامي تضمه الموسوعات
وأمهات الكتب .. وكان على أن أجمع ما تناثر هنا وهناك ، وأضمم ما تفرق
من النظائر والمشاوبات ، وأرتب هذا الحصاد في أبواب وفصول تجمع

المسائل المتقاربة ، والمشكلات المتشابهة ، ثم أتناولها بالتعليق متصدياً لآراء العلماء في المسائل التي خالف فيها الجمهور رأى عمر .

ولقد حرصت على أن أشير إلى مصادر الفتاوى ، وأخرج الآيات والأحاديث ، ضابطاً ما يحتاج الى ضبط ، معنوياً ما جمعته من أقضية وفتاوى ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بها .

ولقد تطلب هذا العمل أن أرجع إلى مصادر قديمة وأخرى حديثة فرجعت إلى المحلى لابن حزم ، وسبل السلام للصنعاني ونيل الأوطار للشوكاني ، وتنوير الحوالك على شرح موطأ مالك ، والتعليق المغنى على الدارقطني ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وحياة الصحابة للكاندهلوى ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، إلى غير ذلك من مصادر وأشارت إلى جميعها في الهوامش .

وحسبى أننى جمعتها ، ويسرت للقارئ المسلم الرجوع إليها فإن كان توفيق فمن الله ، وهو حسبي ونعم المعين .

وأخيراً ما أروع أن نختم حديثنا بقول ابن مسعود

« كان اسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة » .

وأضيف : وكانت أقضيته وفتواه علماً وفقهاً . رضى الله عن عمر ونفعاً بفتاواه .

القاهرة في غرة رمضان سنة ١٤٠٥ هـ

محمد عبد العزيز الهلاوى

